شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

شرحها

الشيخ/ توفيق الصائغ

الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا وقدوتنا محمدٍ، وعلى آله وصحابته، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد ...

نسأل الله -تعالى- بين يدي هذا الدرس أن يغفر لنا، وأن يرحمنا، وأن يتجاوز عنا، وأن يرفع الغمة عن الأمة، وأسأله جلت قدرته، وقد جلت قدرته، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو على كل شيء قدير، أسأله -سبحانه وتعالى- أن يمن على الجميع بالعافية، وأن يدخلنا في ظل حمايته ورعايته وعنايته، وأن يكلأنا بحفظه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، آمين.

أمَّا بعد ...

فالحديث كان قد وقف بنا إلى قول المؤلف -رحمه الله تعالى- بعد أن انتهى من وسطية الأمة في باب الاعتقاد، وفي باب أصحاب النبي -عليه الصلاة والسلام-، وفي باب الإيمان، وفي باب أسماء الإيمان، دلف -رحمه الله تعالى- أو دخل إلى الحديث عن جزء من الإيمان بالغيب، وهو الإيمان باليوم الآخر، فقال -رحمه الله تعالى-: (**وَقَد دَّخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**)، وقفنا هنا، أليس كذلك؟ إذًا هو يتحدث على أن المؤمنين يرون ربهم -سبحانه وتعالى- يوم القيامة في عرصات القيامة، وهذا لنفي ما كان قد سبق من أن الرؤية لا تقع في الدنيا، والصحيح كما مر معنا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- ليلة المعراج لم يرَ ربه، وقد أجاب سائله فقال: «**نور، أنى أراه**»، فلما نفى هذه الرؤية، أو لما استقر عند أهل السنة نفي هذه الرؤية؛ خشي المؤلف -رحمه الله تعالى- أن يُظن أن ذلك نفي للرؤية بالكلية، فبيّن هنا أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وهذا من نعيمهم، بل هو أفضل نعيمهم، بل ذهب بعض أهل العلم إلى أن الناس جميعًا يرون ربهم -سبحانه وتعالى- يوم القيامة، ولكن ليس رؤية كرؤية، فالمؤمنون يرونه على حال، والمنافقون يرونه على حال، ويحجب الله بعد فصل القضاء البعض عقوبةً وعذابًا عن رؤيته؛ مصداق قوله: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[المطففين:١٥].

قال (**ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى**)، وهذا كما أسلفت أفضل النعيم وأكمله، بل هو النعيم المنسي لكل نعيم قبله، وهو تأويل قول الله -تعالى-: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾[يونس:٢٦]، فقد فسر هذه الزيادة النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم بأنها النظر إلى المولى -سبحانه وتعالى-.

وقد دل النبي -عليه الصلاة والسلام- كما في حديث جرير بن عبد الله -رضي الله تعالى عنه- إلى ما يوصل إلى رؤية المولى -جل وعلا-، فقال: «**إن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها؛ فافعلوا**»، أي: ذلك مما يُجزى عليه المرء رؤية الله -تعالى-.

قال -رحمه الله-: (**فَصْلٌ: وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ**)، إذًا الإيمان باليوم الآخر لا يبدأ من حيث قيام الساعة الكبرى، وإنما يبدأ من حيث موت الإنسان؛ لأنه من مات فقد قامت قيامته.

إذًا القيامة قيامتان:

- **قيامة نسبية**: لكل إنسان بحسبه، وهي تبدأ بموته، فبمجرد موته طوى صفحة الدنيا، ودخل إلى صفحة الآخرة، وجرت عليه أحكام الآخرة.

- **قيامة عامة**: وهي عند قيام الساعة الكبرى، وهي متعلقة بالمؤمنين وغيرهم؛ لأنه عند ذلك يكون فصل القضاء، وتجري أحكام غير أحكام الدنيا التي اعتادها الناس، تمور فيها السماء مورًا، وتُكشط فيها، وتسجّر البحار، و... إلخ مما تعلمون من (٠٥:٤٣) الكبرى التي تحصل.

إذًا حين الحديث عن متعلقات الإيمان باليوم الآخر، فإننا نتحدث عن الموت وما بعده، فما بعد الموت من التفاصيل التي تجري على الإنسان؛ كفتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه؛ كل ذلك داخل ضمنًا في الإيمان باليوم الآخر.

وفي قوله -رحمه الله تعالى-: (**فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ**) إثبات لما عليه أهل السنة والجماعة، وثبتت به الأحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أن المرء حين يموت فإنه يتعرض للفتنة، وقد أنكر ذلك جماعة من الماديين كالفلاسفة وغيرهم، وقالوا: إنما قص الأنبياء ذلك من أجل حمل الناس على فعل الحسن، وترك القبيح، وأنه لا صحة لفتنة تحدث بعد الموت، لكن النبي -عليه الصلاة والسلام- ثبت عنه حديث طويل في بيان هذه الفتنة، حين قال: «**إن أحدكم إذا كان في إقبال على الآخرة، وإدبار من الدنيا، يأتي إليه الملك، فيجلس عند رأسه، فإن كان مؤمنًا؛ قال له: أيتها الروح الطيبة، اخرجي إلى روح وريحان، وإلى رب راض غير غضبان، فتنسل كما تخرج القطرة من في السقاء**»، وذكر أيضًا الضرب الثاني، وهو الفاجر أو الكافر، فإن ملك الموت يأتي إليه، ويجلس عند رأسه، ويقول: أيتها الروح الخبيثة، اخرجي إلى سخط وغضب من الله -جل وعلا-، عياذًا بالله،

فتتفرق في جسده، وتتشبث بعروقه وبعصبه، فينتزعها انتزاعًا شديدًا، كما ينتزع السفود الكثير الشعب إذا أدخل في الصوف المبلول، والمراد بالسفود: هو مثل قطعة الإبرة، لكن متشعبة الرؤوس، إذا أدخلت في الصوف المبلول، أو السفود: هي الحديدة التي يشوى بها اللحم.

إذًا النبي -عليه الصلاة والسلام- بيّن ما يكون عليه حال المؤمن وغير المؤمن، وكذلك أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أن المرء يتعرض في هذه الفترة تحديدًا إلى أسئلة الملكين، وهي ثلاثة الأسئلة التي بنى عليها الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- رسالته العظيمة (ثلاثة الأصول)، وهي السؤالات التي يُسألها العبد، وهي سهلة بادي الرأي، لكنها في ذلك الموقف تكون صعبةً على غير المؤمن، ولا يُوفق إليها إلا من وفق الله -سبحانه وتعالى-، يقعدانه فيسألانه: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأما الكافي والمنافق فيقول: ها ها! لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمرزبة من حديد... إلى آخر ما ورد.

وما يتعلق بفتنة القبر (٠٩:١١) إليه النبي -عليه الصلاة والسلام- وقال: «**أما إنكم تفتنون في قبوركم قريبًا من فتنة المسيح الدجال**»، إذًا هذه الفتنة واردة، وورد أيضًا نعيم القبر وعذابه، وأما النعيم فورد في الحديث الآنف، أن المؤمن يفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من روحها وريحانها، فيقول عند ذلك: رب أقم الساعة؛ لأنه يرى مقعده من الجنة، وأما الكافر فيقول: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة.

ودلت الأحاديث الأخرى أيضًا على أن للقبر عذابًا، وللقبر نعيمًا، فقد مر النبي -عليه الصلاة والسلام- بقبرين، فقال: «**أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة**».

إن هذا وارد وثابت، وتواترت به الأحاديث، ولا إشكال فيه عند أهل السنة، الإشكال عند بعض النفاة الذين ينفون مثل هذا؛ لأن الحس عندهم لا يقبل ذلك.

قال -رحمه الله تعالى-: (**فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَن رَّبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَن نَّبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاه هَاه؛ لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ**)، والكلام الذي ذكره الإمام في متنه هنا هو نص حديث رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

ومما يدل أيضًا على عذاب القبر: قصة ذلك الرجل الذي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، حين مات أثنى عليه الصحابة -رضوان الله عليهم-، فقال: «**لا، هو في النار، في شملة غلها**»، فدلت هذه النصوص على أن هناك من يعذب في قبره، ومن ينعم في قبره.

قال -رحمه الله-: (**فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ**).

وقوله: (**إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ**) أي: أن المؤمن يمر عليه هذا الوقت -وإن كان طويلًا- سهلًا يسيرًا، كما بين الصلاتين، وأما المنافق والمرتاب -والعياذ بالله- فيمر عليه وكأنه دهر، ومع ذلك يقول: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة.

قال: (**ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ**)، يقصد عند فصل القضاء، والانصراف إما إلى.. قال: (**إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ. وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ**)، إذًا كأننا أمام قيامتين: قيامة خاصة تقوم بالإنسان عند موته، وقيامة كبرى تقوم على الناس جميعًا، ويفصل الله -تبارك وتعالى- فيها القضاء، تلك التي نزل فيها التهويل والتعظيم في كتاب الله، ﴿**الْحَاقَّةُ** (١) **مَا الْحَاقَّةُ** (٢) **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ**﴾[الحاقة:١-٣]، ﴿**الْقَارِعَةُ** (١) **مَا الْقَارِعَةُ**﴾[القارعة:١-٢]، ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾[الأنبياء:١]، ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾[غافر:١٨]، ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**﴾[مريم:٣٩]، إلى آخر الآيات التي وردت في بيان القيامة الكبرى.

قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**﴾[النمل:٨٧]، ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾[الزمر:٦٨]، وذكر هنا نفختين ثنتين، كما في سورة النمل، وأنها تكون للفزع، واختلف العلماء -رحمهم الله- هل هي نفختان، أم هناك نفخة ثالثة؟ ولقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- «**بين النفختين أربعون**». قيل لأبي هريرة: سنة؟ قال: أبيت. قيل: شهر؟ قال: أبيت. قيل: يوم؟ قال: أبيت. يعني: التمييز لم يُذكر، ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أربعين، ولم يذكر هل هي سنة أو شهر أو يوم.

وفي الصحيحين أيضًا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: «**ينفخ في الصور النفخة الثانية، فأكون أول من ينفض التراب عن رأسه، فأجد موسى باطشًا بقائمة من قوائم العرش**»، وهذا يدل على أنهما نفختان، والذين قالوا: إنه جاء التصريح بأنها ثلاث في حديث الصور الطويل؛ نقول: إن حديث الصور ضعيف، لا تقوم به الحجة، فالنفخة الأولى لموت من كان حيًّا، والنفخة الثانية لبعثهم وقيامهم، وقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**فأجد موسى**»، هل معنى ذلك أن موسى لا تصيبه الصعقة؟ من أهل العلم من قال: إنه قد اكتُفي بالصعقة التي صُعقها -

عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- لما طلب رؤية المولى -جل وعلا-، فقال الله له: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾[الأعراف:١٤٣]، من أهل العلم من قال: إنه قد اكتفي بهذه الصعقة التي صُعقها -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-.

ثم يُحشر الناس إلى الله -تبارك وتعالى- على هيئة غير الهيئة، يُحشرون حفاة عراة غرلًا، قالت أمنا عائشة -رضي الله عنها وأرضاها-: وا سوأتاه! الرجال والنساء، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال لها النبي -عليه الصلاة والسلام-: «الأمر أشد من ذلك»، تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، فمن باب أولى ألا يتلفت الناس إلى شأن الشهوات أو الغرائز أو العورات، قال الله: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:٢].

قال -رحمه الله تعالى-: (فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ)، يفصّل الآن -رحمه الله تعالى- فيما يكون في القيامة من أحداث، ومنها: قيام الناس من قبورهم، مصداق قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]، في ذلك الوقت تُبدل الأرض غير الأرض، والسماوات، وإذا قام الناس من قبورهم لرب العالمين، فإنهم يخرجون على الهيئة التي ذكرت؛ حفاة عراة غرلًا، غرلًا: أي غير مختونين.

قال: (وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ)، وفي الحديث: يجمع الله الأولين والآخرين، فيقفون وقوفًا طويلًا، فيلهمهم الله -جل وعلا- أن يطلبوا الشفاعة، وفيهم الأنبياء، فيذهبون إلى آدم، ويطلبون منه الشفاعة فيعتذر، ثم إلى نوح، يطلبون منه الشفاعة فيعتذر، ثم إلى موسى وعيسى، كلهم يعتذر منها، حتى يأتوا إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، فيقول: «أنا لها، أنا لها»، ويسجد -صلى الله عليه وسلم- تحت العرش، فيفتح الله عليه من المحامد والمثاني التي لم يكن يعرفها في دار الدنيا.

إذًا يلجمهم العرق إلجامًا، وهذا يتفاوت فيه الناس بحسب أعمالهم، فمنهم من يبلغ العرق إلى حقويه، ومنهم من يبلغ إلى ترقوته، ومنهم من يلجمه، ومنهم دون ذلك، هم درجات عند الله بحسب أعمالهم.

قال: (فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ)، نصب الموازين هذه نصب حقيقي عند أهل العلم، يعني أهل السنة يقولون: إنها موازين حقيقية، وليس معنًى مجازيًّا، وغيرهم يذهب إلى أن هذه الموازين ليست موازين حقيقية، وإنما المراد أنه تعادل حسناتهم وسيئاتهم، لكن قد ورد في ذلك قول الله -تعالى-: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[الأنبياء:٤٧]، وورد قول المولى -سبحانه وتعالى-: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾[الأعراف:٨-٩]، وورد قول المولى -جل وعلا-: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ

مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[القارعة:٦-٩]، فدلت هذه النصوص على أن الميزان حق، وهو ميزان كبير عظيم، وفيه موازين معلقة لكل عمل، أو لكل إنسان، بل قد جاء في تفسير البغوي أنه ميزان ذو كفتين، وفيه لسان.

(فَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ)، ولعل هذا أيضًا يذكرنا بالحديث العظيم الكبير، الذي ذكر فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه يصاح برجل من الأمة على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيُنشر له تسعة وتسعون سجلًّا، كل سجل مد البصر، فيقال له: تنكر من ذلك شيئًا؟ فيقول: لا. ويقر بأعماله وسيئاته، فيقول الله -تعالى- له: ألك عندنا شيء؟ ألك من عذر؟ ألك حسنة؟ فيقول الرجل: لا. فيقول الله: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنك لا تُظلم اليوم شيئًا. ما أعدل الله! سبحان الله! فيؤتى ببطاقة مكتوب فيها: (أشهد أن لا إله إلا الله)، فيقول: يا رب، ما هذه أمام هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم شيئًا. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فتطيش السجلات، وتثقل البطاقة؛ لأنه لا يثقل شيء مع اسم الله تعالى.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعلنا وإياكم من أهل التوحيد الخالص، وهذا في حق من حقق الشروط، وانتفت الموانع في هذه الكلمة العظيمة، التي يظنها البعض يسيرة، إلا أنها عند الله -سبحانه وتعالى- توازي هذا وأكثر، ولذلك مر في كتاب التوحيد عليكم حديث موسى حين قال لربه: «**يا رب، علمني شيئًا أدعوك به، وأسألك به. قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله. قال: يا رب، كل عبادك يقولونها. قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، و(لا إله إلا الله) في كفة؛ رجحت بها كفة (لا إله إلا الله)**»، السعيد يوم القيامة من يأتي الله -تبارك وتعالى- بالتوحيد الخالص، ولا أقلل هنا من شأن العمل، وإنما من صلح وحسن توحيده؛ حسن عمله ولا شك، فالسعيد إذًا من يحقق هذا التوحيد الذي هو أسمى المطالب، وأعظم الغايات، وأوجب الواجبات، ويكون لـ(لا إله إلا الله) في الميزان ثقل، وأي ثقل!

ومما يدل على ذلك أيضًا: قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**الطهور شطر الإيمان**»، وقال بعدها: «**والحمد لله تملأ الميزان**»، وأحاديث كثيرة دلت على (٢٣:١١) الأعمال؛ مما يجعلنا محل ثقة أنه تنصب الموازين يوم القيامة، وأنها موازين حقيقية.

ثم ذكر المؤلف الأدلة على ذلك في المتن، وقال: (﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ **[المؤمنون: ١٠٢ : ١٠٣]**).

قال -رحمه الله تعالى-: (**وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ**)، ومعنى (تنشر): أي أنها تُفتح، ويوضع فيها، كأن النص يدل على أنها كانت مطبقة أو مطوية.

وصحائف الأعمال هي التي سجلت فيها الملائكة أعمال العباد؛ لأنه ما من عبد إلا ولديه رقيب عتيد، يسجلان عليه، قال -عليه الصلاة والسلام- كما عند الترمذي: «**إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوهم**»، أي: أنهم كرام لا يفارقونكم أبدًا، يسجلون عليكم، قال الله -تعالى-: ﴿**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[ق:١٧-١٨]، وقال -تعالى-: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ**﴾[الانفطار:١٠-١١]، يعني الملائكة التي تكتب الأعمال، وتدون الحسنات والسيئات.

ومن رحمة الله -تعالى- أن صاحب الشمال إذا هم بكتب السيئة استمهله صاحب اليمين؛ عل العبد أن يحدث توبة.

قال -رحمه الله-: (**وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣: ١٤]**).

إذًا تُنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، ويتفاوت الناس، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه، فيفرح عند أخذه كتابه بيمينه، ويقول: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ**﴾[الحاقة:١٩-٢٢]، ومعنى قول الحق -سبحانه وتعالى-: ﴿**إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾، ما معنى هذا الظن؟ الظن هنا يأتي بمعنى اليقين؛ لأن هذا كلام من أخذ كتابه بيمينه، السعيد المؤمن باليوم الآخر، يقول: ﴿**إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾، وفي لغة العرب أن الظن قد يأتي بمعنى اليقين.

(**فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ**) فيسعد بهذا الأخذ، ويفرح، ويقول: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾، أي: أنه يمد كتابه إلى أهل الموقف فرحًا، وكأن أهل الموقف ليس لهم شغل إلا أن ينظروا كتابه، من شدة ما استولى عليه الفرح.

والآخر آخذ كتابه بشماله، وهذا يسوؤه أن يأخذ كتابه بشماله، فيقول: يا ويلتا! مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف:٤٩].

إذًا الناس يتفاوتون عند أخذ الكتب ما بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، والعمدة في ذلك أن الله -تعالى- أحصى كل شيء، وعده عدًّا، وأن المولى -سبحانه وتعالى- لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ**﴾[الانشقاق:٦-١٠] إلى آخر الآيات.

وقال الله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[المطففين:١٠-١١]، حتى إن الكافر يقول: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[الحاقة:٢٧]، أخذ كتابه بشماله، يقول: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾، يا ليتها كانت النهاية التي ليست بعدها شيء، ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[الحاقة:٢٨-٢٩]، ثم يقول الله -تعالى- لملائكته: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[الحاقة:٣٠] يعني سلسلوه، ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[الحاقة:٣١-٣٢]، عياذًا بالله.

قال المؤلف: (فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ : ١٤]. وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا).

إذًا بعد تقسيم الكتب إلى ميامن وشمائل، يحاسب الله -عز وجل- الخلق، وهو أسرع الحاسبين -سبحانه وتعالى-، وقد ورد في أدعية النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «**اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا**»، ولما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه من نوقش الحساب عُذب، ذكرت عائشة -رضي الله عنها- للنبي -عليه الصلاة والسلام- حساب المؤمن، فقال: «**ليس ذاك يا عائشة، إنما هو العرض**»، يعني: ما يحصل مع المؤمن إنما هو العرض، أما مناقشة الحساب فهذا بحد ذاته عذاب، نسأل الله العافية، ولذلك كانت المنة التامة والنعمة السابغة أن يدخل الله -تبارك وتعالى- سبعين ألفًا من الأمة الجنة بغير سابقة حساب، وقد زادنا الله -سبحانه وتعالى-، فيدخل مع السبعين سبعون أيضًا، سبعون ألفًا، مع كل واحد سبعون ألفًا، هؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب، وما عداهم فإن المؤمن يحاسب حسابًا يسيرًا، أي: يعرض الله -سبحانه وتعالى- عليه.

قال: (وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ)، وهذا من لطف الله -تعالى-، نسأل الله -جل وعلا- من عظيم لطفه، أنه يقرر عبده، فيقول: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، يدني الله عبده المؤمن، فيضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فإذا أقر بها؛ قال الله -جل وعلا-: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم. اللهم اجعلنا من أهل المغفرة.

قال: (وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ حَسَنَاتَ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا)، لماذا قال: إن الكفار لا حسنات لهم؟ هل معقول أن الكافر لا حسنات له؟ وماذا عن إنفاقه، وبره وصدقاته؟ اليوم هناك أزمة كورونا، وأغنياء الكفار تبرع أكثر من واحد منهم بمائة مليون دولار، هل

تذهب هذه كلها سدًى؟ لا حسنات لهم في الآخرة؛ لأنهم فاقدون للأصل، والأصل الذي تُقبل به الأعمال، والتي بوجود هذا الأصل تُحسب لهم في الآخرة -هو التوحيد، ومتى عُدم هذا التوحيد؛ فإن الله -تعالى- يقول: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان:٢٣]، ومن عدل الله ورحمته وفضله -سبحانه وتعالى- أنه يكافئهم بها في الدنيا، فتثرو أموالهم، ويبارك في صحتهم، ويجدون من السعادة في الإنفاق، وهذا واضح من كلام كثير منهم؛ أن اللذة الموجودة في الإنفاق تفوق اللذة الموجودة في الأخذ، هذا كله يجدونه في الدنيا، ويعطيهم الله عليه، لكنهم لا يجدون عنده يوم القيامة شيئًا، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، قال الله -تعالى-: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾، ومع ذلك ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾[الغاشية:١-٤]، فأهل التفسير يقولون: هؤلاء أهل البدع الذين تكون بدعتهم مكفّرة، يصلون ويصومون ويحجون ويتصدقون، ويفعلون ويفعلون، لكنهم في جهنم؛ لأنهم تركوا الأصل، وارتكبوا الكفر، فلا يجازيهم الله عليه، وهذا أيضًا يقال لأولئك الذين ينصبون انظروا مثلًا إلى غلاة الرافضة، يذهبون حبوًا من أطراف العراق، وأحيانًا من بلاد فارس، حتى يأتوا إلى مقامات المعصومين بزعمهم، حبوًا، وبعضهم يأتي زحفًا، كل هذا التعب والنصب لا يصيب أجرًا، وإنما يكون عليهم وزرًا؛ لأنهم فاقدون للأصل، إما للتوحيد، وإما أصل المتابعة للنبي -عليه الصلاة والسلام-.

قال -رحمه الله تعالى-: (**وَفِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ الْحَوضُ الْمَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- ماؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا**).

بيّن -رحمه الله تعالى- من الأمور التي نؤمن بها، وتحدث يوم القيامة: ما يحدث في العرصات من الحساب، ومن توزيع الصحف ونشرها، وأيضًا من ضمن ما نؤمن به وجود الحوض المورود للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وهذا الحوض هو الذي ورد في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:١-٢]، حوضه -عليه الصلاة والسلام- آنيته عدد نجوم السماء، والحوض في المجمل هو المجتمع الذي تجتمع فيه المياه، وقد ورد في وصفه أن عدد كيزانه مثل عدد نجوم السماء، كثيرة جدًّا، وقد جاء في بعض الآثار أيضًا -وبعض أهل العلم لا يصحح ذلك- أن لكل نبي حوضًا، وأن أعظم الأحواض حوض النبي -عليه الصلاة والسلام-، في المجمل حوض نبينا -عليه الصلاة والسلام- حوض مورود، يرده عليه أتباعه، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إنكم تردون علي الحوض غرلًا محجلين من أثر الوضوء**»، فيعرف النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته من الغرة التي تكون في الوجه، ومن التحجيل الذي يكون في الرجلين، كالتحجيل الذي يكون في رجل الخيل، ولكن يذاد عن حوض النبي -عليه الصلاة والسلام- أقوام أحدثوا وابتدعوا، فيذادون عن حوضه، فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أمتي أمتي!**»،

بمثل الشفقة التي غادر بها الأمة يلقاهم عليها عند الحوض، فيقول: «**أمتي أمتي!**». فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

إذًا مر من صفات هذا الحوض المورود أنه حوض واسع، وأن آنيته كثيرة جدًّا كعدد نجوم السماء، وذكر المؤلف أن ماءه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل.

أما مكانه: فدلت الأحاديث على أنه بعد الصراط، مكانه يوم القيامة بعد الصراط؛ لحديث أبي رزين العقيلي، وفيه: «**فيسلكون جسرًا من النار، يطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس. فيقول ربك، أو أنه قال: فيطلعون على حوض الرسول -صلى الله عليه وسلم-على ظمأ والله**»، إلى أن قال: «**ما يبسط واحد منكم يده إلا وضع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى**»، هذا الحديث عند أحمد والحاكم.

وقوله: «**فيسلكون جسرًا من النار، يطأ أحدكم الجمرة فيقول: حس**»، إلى أن ذكر في آخره أنه «**لا يضع أحد منكم يده إلا وضع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى**»، دل على أن هذا الحوض المورود يكون بعد المرور على الصراط.

والصراط: هو الجسر المنصوب على متن جهنم، وعلى جنبتيه كلاليب، يمر عليه الناس بحسب أعمالهم، منهم من يمر بسرعة البرق، ومنهم من يمر عليه عدوًا كالخيل الجياد، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، ومنهم من تعترضه الكلاليب، فتهوي به في حفرة حرها شديد، وقعرها بعيد، والعياذ بالله.

أما الحوض فقد ورد أن طوله شهر، وعرضه شهر، وقال: (**مَاؤُه أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَّشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لاَ يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا**)، وهو تأويل قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾[الكوثر:١]، ففي حديث أنس أن النبي -عليه الصلاة والسلام- أغفى إغفاءة، واستيقظ وهو يضحك، فقال: «**ألا تسألوني مم أضحك؟**». قالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: «**إن الله أعطاني الكوثر، وهو نهر في الجنة، فيه خير كثير، ترد عليه أمتي**».

ثم قال -رحمه الله-: (**وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُم مَن يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم**)، وهذه الكلاليب كلاليب وحسك كحسك السعدان، والسعدان شوكة تكون في نجد، وفي وسطها شوك كثير، فهذه

الكلاليب منصوبة على جنبتي الصراط، تمسك الناس وتلقيهم في النار والعياذ بالله، فمن كان من أهل الربا؛ أخذه كلاب الربا، ومن كان من أهل الشرب؛ أخذه كلاب الخمر، وهكذا.

(**فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ**)، وهو الوارد في قوله -تعالى-: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾[مريم: ٧١-٧٢]؛ ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾ هذا هو الصراط المنصوب على متن جهنم، وهذا الصراط يمر به الناس جميعًا، ولذلك كان بعض الصحابة -رحمهم الله تعالى- وأظنه عمر، إذا قرأ هذه الآية ترتعد فرائصه.

قال: (**فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصَّ لِبَعْضِهِم مِن بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**)، يعني بعد عبورهم للصراط هناك قنطرة، القنطرة هي البناء المرتفع، مكان يُحبس فيه هؤلاء المارة، فيُقتص منهم؛ لأن يوم القيامة القصاص بالحسنات والسيئات، كما في حديث المفلس، قال: «**أتدرون من المفلس؟**». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: «**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بحسنات كجبال تهامة، ويكون قد ظلم هذا، وشتم هذا، وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت؛ أخذ من سيئاتهم، ثم طرحت عليه، ثم طرح في النار**»، فيُقتص يوم القيامة، ولا يبقى لأحد على أحد شيئًا، حتى المقتول يُقتص له يوم القيامة في هذه القنطرة، وإقامة الحد في الدنيا أو القصاص لا يعني بالضرورة أن ذمة القاتل قد برئت بإقامة القصاص عليه، هل هذا الكلام صحيح، أم عليه مداخلة؟ صحيح؛ لأن الحقوق المتعلقة على الدماء ثلاثة: حق الله -سبحانه وتعالى-، وهذا يسقط بالتوبة، وحق أولياء الدم؛ أبنائه أو أقربائه أو إخوته أو ذويه، وهذا يسقط بالقصاص، ويبقى حق يؤخر ليوم القيامة، وهو حق هذا المقتول، فإنه يأخذ بتلابيب القاتل، ويقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ ففي هذه القنطرة يُقتص من صاحب كل حق، يؤخذ من حقه؛ لأنه يراد من أهل الجنة إذا دخلوها أن يدخلوها وقد نزع الله ما في صدورهم من غل، إخوانًا على سرر متقابلين، فيؤخذ من أصحاب الحقوق، فإذا فنيت الحسنات؛ أُخذ من سيئات المحقوقين، فطُرحت على من يطالبونه.

قال -رحمه الله-: (**وَأَوَّلُ مَن يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ النبي مُحَمَّدٌ -صلى الله عليه وسلم- وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ**)، إذا انتهى الناس من الصراط والقنطرة؛ فإن أول من يستفتح باب الجنة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، حتى إنه إذا استفتح قال له الخازن: من؟ فيقول: محمد. فيقول: بك أُمرت ألا أفتح لأحد قبلك. وهذه منقبة للنبي -عليه الصلاة والسلام-، ومنقبة لأمته من بعده؛ لأنه -عليه الصلاة والسلام- يقول: «**نحن الآخرون الأولون**»، يعني: نحن آخر الأمم، ومع ذلك نسبق الأمم في دخول الجنة، إذًا الكرامة للنبي -عليه الصلاة والسلام-، والكرامة لأتباعه أو المنتسبين إليه، فمن شرف النسبة إليه -صلى الله عليه وسلم- حدوث هذه المكرمات التي هذه واحدة منها.

وأما كون أول من يدخل الجنة أمته، بل وأيضًا أكثر من يدخل الجنة من الأمم أمة النبي -عليه الصلاة والسلام-، قال -صلى الله عليه وسلم-: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»، والحديث أخرجه أحمد، والحاكم في المستدرك، والبيهقي.

هل لسائل أن يقول: ألم نقرأ كثيرًا في القرآن قول الله -تعالى-: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٤٧]؟ ألم نقرأ في كتاب الله: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الدخان:٣٢]؟ كيف يُجمع بين هذا وبين قوله -عليه الصلاة والسلام-: «أنتم خيرها وأكرمها على الله»؟ النصوص: قول الله -تعالى-: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، الشاهد: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وقوله كما في الدخان: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، طبعًا المفردة هذه تكررت، كما في قوله -تعالى- في الجاثية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الجاثية:١٦]، الإجابة الصحيحة أنهم فُضلوا على عالمي زمانهم، وأما التفضيل العام فأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فُضلت على الأمم جميعًا، قال الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠]، وقال الله -تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣]، أي: عدولًا، فجعل الله -تعالى- الخيرية لأمة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وجعل لها الأسبقية، وفي الحديث: «ألا ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟». إلى أن قال: «ألا ترضون أن تكونوا نصف أهل الجنة؟».

ثم بعد ذلك تطرق -رحمه الله تعالى- إلى ذكر الشفاعة، وذكر أنها ثلاث شفاعات، سنعرض لها -إن شاء الله تعالى- في المجلس القادم.

إلى ذلك العهد أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينظر إلينا بعين رحمته، وأن يرفع عنا أسباب سخطه ومقته، وأسأله -سبحانه وتعالى- أن يرفع الغمة عن الناس أجمعين، مسلمهم وكافرهم، وأن يأذن بالعافية والشفاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين.

تم إلقاؤه يوم الأربعاء ٩ شعبان ١٤٤١ هـ الموافق ٢\٤\٢٠٢٠